الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى

أمانة الدعوة والفكر

لماذا الميثاق

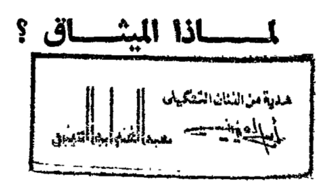
الندوة التى أقيمت بقاعة الشعب بمناسبة

الاحتفال بالعيد الرابع للميثاق - مايو ١٩٦٦

لمـــاذا الميثـــاق ؟

الندوة التى اقامتها امانة الدعوة والفكر الاشتراكى
بمناسبة الاحتفال بذكرى صدور ميثاق العمل الوطنى
فى ٢١ مايو ١٩٦٢ .

لمـــــاذا الميثـــاق ؟



اشترك فى الندوة :

- السيد كمال الدين رفعت
  أمين الدعوة والفكر
- الدكتور محمد أنيس
- الدكتور عبد الرازق حسن
- الدكتور عبد العزيز كامل
- الدكتور حسين فوزى
  أعضاء امانة الدعوة والفكر
- العميد حسنى عبد المجيد
- الدكتور ابراهيم صقر
  عضو امانة المعاهد الاشتراكية

افتتح الندوة السيد كمال الدين رفعت ـ أمين الدعوة والفكر قائلا .. بسم الله الرحمن الرحيم .. كانت ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ حدثا بارزا فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ الأمة العربية ، كانت ثورة قائمة على أسس فلسفية ونظرية شملت كافة نواحى الوجود الانسانى ، وكانت نظرتها من الشمول بحيث استطاعت أن تمس الوجـــود الانسانى ككل من النواحى السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والروحية .

وثورة ٢٣ يوليه كانت تغييرا أساسيا وضروريا فى حياة المجتمع المصرى ، لم تكن مجرد انقلاب لتغيير وجوه الطبقة الحاكمة ولكنها كانت ثورة ، بمعنى أنها تهدف الى احداث تغيير أساسى فى المجتمع فى كافة نواحى نشاطه وأنظمتـه ومنظماته والطبقات التى كانت تسيطر على المجتمع .

ومن هنــا كانت ثورة ٢٣ يوليــه تتميز بعـــدة نواح مختلفة فهى كثورة تتميز بعقلية ثورية وتتميز بمنطق ثورى وتتميز بأسلوب ثورى وتتميز بنظرية ثورية ، وثورة ٢٣ يوليه بدأت معالمها تظهر فى كتاب **فلسفة الثــورة للرئيس جمال عبد الناصر** .. والذى كان عبارة عن قصة فى باطن النفس ، فقد كانت انفعالات فى نفس زعيم الثورة ثم صارت فكرة مختمرة فى ذهنه وفى فكره الى أن أصــبحت تدبيرا سياسيا الى أن تجمعت لها عناصر الظهور فبدأت كحقيقة واقعة .

وكتاب **فلســفة الثورة** تطرق الى ثلاث نواح رئيسية وكان محاولة لاستكشاف النفس أولا ثم محاولةلاستكشاف الظروف المحيطة بنا سواء فى الداخل أو الخارج ثم محاولة لاستكشاف أهدافنا وقدراتنا على تحقيق هذه الأهداف . وقــد أبرز كتــاب **فلســفة الثــورة** فى الواقــع ثلاث نواح رئيسية ، أبرز بذور هذه الثورة ومقدمتها كما أبرز ما الذى تريده الثورة وما هو الطريق الى هذا النهج الثورى ثم أبرز الأهداف البعيدة للثورة من ناحية مصر كبلد عربى ومصر كجزء من المجتمع الاسلامى ومصر كجزء من الفكر ، وكان كتاب **فلسفة الثورة** فى الواقع هو الخطوط الرئيسية التى حددت المبادىء والأهداف التى قامت عليها الثــورة ، فمبادىء الثورة الستة المعروفة كانت أساسا تنبثق من تاريخ نضال الشعب ، تنبثق من الظروف القاسية التى عاشها هذا الشعب وفى الوقت نفسه تعبر عن مراحـــل التطور التى اجتازتها الثورة منذ قيامها الى وقتنا الحاضر، واذا تتبعنا هذه المبادىء نجدها فى الواقع تعبر عن مرحلتين أساسيتين ، مرحلة الثورة السياسية ومرحلة الثــورة الاجتماعية . فاذا اعتبرنا مرحلة الثورة السياسية هى المبادىء الثلاثة الأولى من هذه المبادىء الستة ، أى القضاء على الاستعمار وأعوانه والقضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار وتحكم رأس المال فى الحكم ، فانها تعنى فى الواقع ازالة العوائق التى كانت تقف فى طريق تطور المجتمــع ، ثم تجىء المبادىء الثلاثة الأخرى وهى اقامة عدالة اجتماعية

واقامة الجيش الوطنى القوى واقامة الحياة الديمقراطية السليمة ، بمعنى أنه كان لا يمكن تحقق الثلاثة مبادىء الأخيرة ، ما لم تتحقق أولا الثلاثة مبادىء الأولى بمعنى أنه كان يجب ازالة العوائق والعراقيل من أمام الشعب فى حركته الثورية .

ان تفاعل هذه المبادىء فى الواقع من خلال التطبيق ومن خلال التجربة ومن خلال عشر سنوات ، هذا التفاعل أبرز لنا الميثاق الوطنى ، هذا الميثاق الذى يوضح معالم التجربة التى مرت بها الثورة قبل عام ١٩٦٢ ثم يحدد فى الوقت نفسه حاضرنا ثم يحدد معالم طريق تطورنا الى المستقبل .. ومن هنا يعتبر الميثاق الوطنى هو مرحلة الوضوح الفكرى الكامل وهو فى الوقت نفسه يعتبر من أعظم انتصاراتنا الفكرية على الصعيد المحلى بل وعلى الصعيد العربى والعالمى .

ونحن اذا نظرنا الى الميثاق ، فهو ليس بفلسفة أو نظرية بقدر ما هو طريق يحدد لنا كيف نعمل . ولكن من ثنايا هذا الميثاق نستطيع أن نستشف الفلسفة والنظرية التى قام عليها هذا الميثاق .

والميثاق فى مجموعه يبرز لنا كيف نقيم مجتمعا اشتراكيا ديمقراطيا بكافة نواحيه المادية والفكرية والروحية بحيث نجد أن هذا الميثاق من الشمول بحيث يعالج مشاكل وجودنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية ، بل انه يؤكد وجودنا القومى فى نطاق الوطن العربى ككل . ومن هنا تظهر لنا الدعائم الرئيسية التى يقوم عليها ميثاقنا الوطنى والتى تتحدد فى الفكر الاشتراكى وفى الفكر الديمقراطى الذى ينبثق من متطلبات مجتمع القرن العشرين الذى يؤكد أهمية القيم الروحية فى دفع طريق التطور والتقدم ويؤكد دور الفكر والعمل فى بناء المجتمع وايجاد معنى الحياة ، ويؤكد دور العلم والأسلوب العلمى فى معالجة مشاكل المجتمعات الحديثة

ومشاكل الانسان الحديث . ويؤكد ارتباط هـذا كله بتاريخنا ، بتراثنا لأن التاريخ عامل من أهم العوامل التي ترسم حاضرنا وتحدد طريقنا فى المستقبل . والميثاق تطرق الى نواح كثيرة وهو اذ يحـدد لنا اطارات مشاكل مجتمعنا فهو قد ظهر ايضا فى ظروف دقيقة كان يجتازها شعبنا ، هذه الظروف التى كانت تتحكم فى بلادنا ، كان الاستعمار بل كانت قوات الاحتلال وقوات الغزو الأجنبى تسيطر على أرضنا وتفرض ارادتها على شعبنا ، كان الاقطاع بما يملكه وبما يسيطر عليه من أرض ومن العاملين فى الأرض كقوة طاغية وقوة مستبدة فى مجتمعنا تمنع انطلاقه وتمنـع تطوره ، كما كان رأس المال المستغل الذى يستغل ثروات الشعب ويسيطر على الحكم ويوجهه لمصـلحة الطبقـة الرأسمالية ، كل هذه العوامل كان من شأنها ان تجعـل المواجهة الثورية لكل هذه العقبات فى منتهى الصـعوبة وتحتاج الى جهد ثورى والى تجمع ثورى والى عقليةثورية ومنطق ثوري واسلوب ثورى للعمل . ومما زاد من صعوبة هذه المواجهة أن القيادات السياسية التى كانت موجودة فى الماضى أو التى كانت تتصدى للعمل السياسى فى الماضى كانت متفسخة ولم تكن على المستوى الذى يجعلها تتبين بوضوح حقيقة التطور فى المجتمع بل كانت هذه القيادات متخلفة جدا عن حركة الجماهير الشعبية ، ومن هنا كانت اهمية الثورة وكانت أهمية الميثاق كدليل للعمل الثورى وكحد فاصـل بين مرحلة من مراحل التخلف ومرحلة من مراحل الوضوح الفكرى الكامل .

لماذا صدر الميثاق ؟ ولماذا شمل كافة نواحي الوجود ؟ اعتقد أن الدكتور محمد أنيس يستطيع ان يكلمنا فى هذا الموضوع .

لمـــــاذا الميثـــاق ؟

وبدأ الدكتور محمد أنيس حديثه قائلا ·

سأحاول ف ايجاز ان أرد على السؤال الذى طرحه السيد الأمين ، وهو كما أفهمه لماذا كان لابد أن يصدر الميثاق ، ولمـــاذا صدر الميثاق فى عام ١٩٦٢ على وجه التحديد ؟

ان الاجابة على هذين السؤالين تتطلب بطبيعة الحال الرد على سؤال ثالث وهو ، اذا كان الميثاق كما نعرف دليلا للعمل الثورى منذ ١٩٦٢ ، منذ اقرار المؤتمر الوطنى له ، فما هو الدليل الثورى الذى عاشت عليه الثورة منذ قيامها فى عام ٥٢ حتى الاجراءات الاشتراكية ومرحلة التحـــول الاشتراكى ؟

أشار السيد الأمين الى المبادىء الستة للثورة وأشار أيضا الى كتاب فلسفة الثورة وهما بدون شك منبع رئيسى للعمل الثورى ..

على اننى اعتقد أننا فى هـــذه المرحلة من سنة ١٩٥٢ حتى عام سنة ١٩٦١ وهى مرحلة التحرر الوطنى الذى كان العمل الثورى فيها ينحصر بدرجة رئيسية فى التخلص من

الاستعمار وأعوان وعملاء الاستعمار فى الداخل ، لم تكن هناك حاجة الى رؤيا واضحة لأن الرؤيا كانت فعلا واضحة من خلال تجارب الشعب المصرى ، ثوراته السابقة ، الثورة العرابية سنة ١٩١٩ وما حدث عام ١٩٣٥ ، وما حدث عام ١٩٤٦ ، وما حدث عام ١٩٤٨ وما الى ذلك .

كل هذه التجارب الثورية للشعب المصرى ابرزت واستقطبت حقائق وابعاد النضال ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار قضايا مثل التخلص من الاحتلال البريطانى ، تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل أو راس المال الاحتكارى تجربة السياسة الحزبية ، تجربة دستور سنة ١٩٢٣ ، كل هذه عرفها الشعب المصرى وكانت رؤى واضحة له تمام الوضوح . ففى حقيقة الأمر لم تكن الثورة فى حاجة تامة الى مزيد من وضوح الرؤيا لأن تجربة الشعب المصرى جعلت الرؤيا واضحة له تماما . على أنه عندما تخلصت مصر من الاستعمار فى معركة ١٩٥٦ ثم من الاستعمار فى شكله الاقتصادى بعد ١٩٥٦ فى ضرب الراسمالية الأجنبية وبالذات الرأسمالية الانجليزية والفرنسية والبلجيكية ، أصبح من المحتم ان تشق الجمهورية لنفسها طريقا للبناء فى المستقبل فاختارت طريق الاشتراكية وهنا كان لابد من أن يظهر الميثاق كدليل للعمل الثورى ، حتى يخلق وحدة فكر يمكن أن تلتف حولها القوى الثورية والتقدمية فى مصر ويترتب على خلق هذه الوحدة الفكرية وحدة العمل ووحدة الارادة ، وتحديد ابعاد الالتزام ومن ثم أصبح من المحتم نتيجة لظهور الميثاق ظهور وحدة العمل وظهور معنى الالتزام بالميثاق خصوصا بعد أن أقره المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٦٢ .

على انه يمكن ان يثار الى جانب ذلك سؤال آخر ، وهو لمن خرج الميثاق ولماذا ؟

اما لمن خرج الميثاق فقد حدد الميثاق ذلك بأنه خرج للقوى صاحبة المصلحة فى الاشتراكية ، لتحالف قوى الشعب العامل ، للقوى التقدمية أو الثورية فى مجتمعنا . وليس معنى هذا أن الحركات الوطنية التقدمية فى البلاد الأخرى لا يمكن أن تستفيد من الميثاق كوثيقة للحركة الوطنية التقدمية وغنى عن القول أن الميثاق يدرس بالفعل فى كثير من البلاد التى تموج بالحركات التحررية التقدمية وبالذات فى أمريكا اللاتينية . أما لماذا ظهر الميثاق فمن المؤكد أن الميثاق هو دليل العمل الثورى وهذه حقيقة فى تقديرى يجب أن نؤكد عليها . ان الميثاق دليل العمل الثورى فى مرحلة التحول الى الاشتراكية وهذه نقطة كما قلت على جانب كبير من الأهمية لأنها تجعل الميثاق غير جامد .

وقد أوضح زعيم الثورة فى كثير من المناسبات انه لا حدود للعمل الثورى وكل دعوة الى تثبيت وتجميد الميثاق عن حد معين وخصوصا فى النواحى التقدمية التى يعالجها الميثاق انما هى فى حقيقة الأمر تعبر عن موقف القوى الرجعية بالنسبة للميثاق ، فالميثاق يفتح أمام الشعب المصرى وأمام الأمة العربية آفاقا واسعة كثيرة للاجتهاد كما أنه لا يقفل الباب اطلاقا خصوصا فى النواحى التنفيذية أو التطبيقية ، وان الثورة لا تعرف قيودا وان باب الاجتهاد مفتوح أمام الثورة وأمام قوى الشعب العامل .

وهذه الحقيقة هى التى احرص كل الحرص على توضيحها وابرازها لحضراتكم .

دليل العمل

وقال الدكتور عبد الرازق حسين :

حينما صدرت القوانين الاشتراكية سنة ١٩٦١ قامت الكثير من التساؤلات ، وما هو دليل

العمل فى المرحلة القادمة اى مرحلة التحـول الاشتراكى ، أو بمعنى آخر هل تنتهى المسألة بما صدر من قوانين أم أن المسألة ممتدة الى أكثر من ذلك وما هى الحدود . وبناء على ذلك صدر الميثاق الذى يعبر عن اطار العمل الذى سنسير فيه ، لا أريد أن أكرر ما سبقنى فيـه الدكتور أنيس والسيد الامين .. انما نلاحظ فى دراستنا للميثاق مسألة هامة جدا وهى طريقة مناقشة المسائل .

بدات هذه المناقشة فى شكل تصويرى لتطور المجتمع تاريخيا ، ومن خلال هذا التصوير يبين الميثاق أن هنـاك عوامل اقتصادية فى داخل هذا التطور وانتهى بنا فى النهاية الى أننا وصلنـا الى مرحلة حتمية وضع معين بشكل معين من أشكال المجتمع يقتضى ظروفا اقتصادية معينة . يعـنى هذا فى النهاية انه حين عرض هذا العرض التاريخى وصل بنا الى النتيجة الأساسية وهى أن الذى يحكم التطور هو علاقات اجتماعية معينة . واذا أردنا أن تستمر فى التطور فعلينا أن نلاحظ هذه العملية ، وفى النهاية نحن كمواطنين لنا دور فى عملية التحول عن طريق علاقاتنا المختلفة وفى نفس الوقت يؤكد أن قبول نظرية التطور الاجتماعى لا تعنى بالحتم أخذنا بتجارب معينة أو بفرض نظريات جامدة ، انما كما هو واضح من الميثاق حدد لنا اطار التطور الذى سرنا فيه فى الحقبة الماضية والتى وصلت بنا الى المرحلة التى انتهينا اليها ، اشار فيما اشار الى قيام الثـورة ، وأن الثورة قامت لاحداث تغيير أساسى فى المجتمع ، تغيير فى علاقات الانتاج ، تغيير فى العلاقات الاجتماعية ، تغيير فى شكل الانتاج ، وهناك رابطة بين تغيير شكل الانتاج والتغيير فى علاقات الانتاج والتغيير أيضا فى شكل التطـــور الذى ينتظره المجتمع وهو ما أثاره بعد ذلك الى أن وصل بنا الى حتمية الحل الاشتراكى لمشكلاتنا التى نعيش فيها أو بمعنى أدق للمشاكل التى تعيش فيها المجتمعات التى

وصلت الى المرحلة المشابهة لمرحلتنا لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى ، لم تكن مسألة حرية اختيار لنظام معين دون نظام آخر ، ولكن الذى فرض هـذا الوضع الذى فرض القوانين الاشتراكية وفرض الحل الاشتراكى هو واقع المجتمع والطبيعة المتغيرة فى داخل المجتمع وفى العالم أيضا .

والملاحظ هنا انه حينما كانت أدوات الانتاج بسيطة والانتاج لتغطية الاحتياجات المحدودة ، لم تكن هنـاك مشكلة ، وحينما زادت احتياجات المجتمع وكبرت أدوات الانتاج ولم يعد من السهل على كل فرد أن يتحكم فيها ، تحكم فى هذه الأدوات قلة من الأفراد فأصبح الانتـاج للمجتمع وأدوات الانتاج فى يد قلة من افراد المجتمع وهنا حدث تناقض وكان لا مفر من أن تحدث مشـكلة ما ، هى مشكلة عدم التوازن بين طبقات المجتمع أو قيـام طبقات للمجتمع يحدث بينها حالات من عدم التوازن ، مجموعة تعمل ومجموعة تملك أدوات الانتاج . مجموعة تعرق للحصول على دخلها ومجموعة تحصل على كسبها عن طريق استثمار راس المـال .

ليس هذا فقط انما حدث انفصال بين راس المـال والعمل ، ففى المـاضى حينما كانت أدوات الانتاج بسيطة لم تكن تحتاج الى كفاءة كبيرة وصـاحب راس المـال كان صاحب الحق فى نفس الوقت وكان يعمل يده فى يد معاونيه اما بعد ذلك ، اصبحت الآلة متخصصة وتحتاج الى مستوى كفاية عالية ولذلك فان الادارة نفسها انفصلت عن ملكية راس المـال وتكون لنا ما نسميه بفئة الفنيين ، ونشأ فى المجتمعات اذن ، العمال واصـحاب الأموال والفنيون ، وكانت نتيجة هذا التفتيت فى المجتمع أن اتخذ الانتاج الشكل الذى أدى الى هذا الوضع . وبالتالى اذا كان الانتاج للربح وهدفه الحصول على اكبر كسب ، فالنتيجة المباشرة أن يتجه الانتاج الى حيث توجد القوة الشرائية الكبرى أو بمعنى آخـر ما نسميه بالمعنى الدارج

الانتاج لصالح الفئات ذات الدخل العام . وهنا يحدث ايضا اختلال فى عمليات الانتاج بحيث نجد فائضا كبيرا فى الانتاج لفئة أصحاب الدخول المرتفعة . وانتاج فى نفس الوقت لا يقابل حاجة الجماهير .

وحتى مع هذا كانت قدرتنا على التحول وعلى تطوير قضية الانتاج التى على أساسها تنهض المجتمعات ، تحتم زيادة وجود هذا الفائض وقيام نوع من انواع الانتاج وهو الانتاج للصناعات الثقيلة ، كانت هذه عملية صعبة لوجود ارتباطات معينة هى ارتباطات الراسمالية المصرية والراسمالية العالمية الاحتكارية الكبيرة وبالتالى كانت الرأسمالية المحلية لدينا تابعة ، وكانت صدمة بالتالى اقتصاد تابع ولم يكن من المنتظر ان يتقدم عن هذا وكل المحاولات التى كان ينادى بها البعض ويتصور أنه من الممكن عن طريق المجهودات الفردية والادخار الفردى والمشروعات الفردية ، أن يتطور المجتمع وأن تقوم بعض المشروعات وتغطى بعض الاحتياجات ولكن اتضح أنه من الصعب أن تغطى هذه المجهودات الفردية جميع احتياجات الشعب وتوجه حركات النمو المختلفة وبالتالى لم يكن هنالك مفر من ايجاد وسيلة اخرى للخروج من هذا المأزق . بدأنا نثور على الأوضاع القديمة ونغير من اطار العمل . بدل أن يكون المجتمع مستعمرا يكون مستقلا ، بدل أن يكون اقتصادا تابعا يكون مستقلا قائما ، وهنا تقوم مشكلة أدوات الانتاج وشكلها وكيف تكون .»

ملكية أدوات الانتاج

هل نشتغل ونعمل على تنمية المجتمع وتطويره ثم نأتى ونهيىء أدوات الانتاج لنترك لقلة من الأفراد التحكم فيها ، لقد كانت النتيجة عندما وفرت الحماية للرأسمالية المصرية عن طريق رفع الرسوم الجمركية والاعانات المستمرة واصدار القوانين التى تحد من الأجور ان التقدم البسيط الذى حدث كان تقدما غير متوازن فى كافة

القطاعات ، مما يهدد بوجود قطاعات متخلفة ، وبالتالى اذا استمر . هذا الوضع لم يكن مفر من قيام تناقضات ونزاع بين فئتى المجتمع وقطبى المجتمع وفى النهـاية لابد أن يحدث انقسام وثورة ، وقامت الثورة وكان من المفروض أن يسيطر المجتمع على الأدوات اللازمة لعمليات الانتاج .

واذا كنا نهدف الى عمل تطوير ، فيجب أن تعبىء جميع الموارد سواء المادية أو البشرية لتكون فى يد المجتمع لاحداث التطور الذى نريده ، وبالتالى كان علينا أن نحدد بالضبط كيف ستكون ملكية أدوات الانتـاج وهنـا قام تساؤل . هل يعنى سيطرة المجتمع على ادوات الانتاج ، أن يملك المجتمع جميع ادوات الانتاج .

الواقع وبغض النظر عما اثاره الميثاق ، فهى مسألة واضح أنها منطقية .

المهم فى العملية أننا نريد انتاجا بكفاءة يوزع على الجميع على أساس ما يقدمونه من جهد وعمل للمجتمع ، وبالتالى اذا لم يكن هناك تعارض بين ملكية البعض لبعض أدوات الانتاج فمن الممكن أن يقوم هذا النوع من الملكية وفعلا نجد أن هذا حدث بالنسبة للارض وبالنســبة لبعض الصناعات الخفيفة ، بمعنى أن من يقوم بالانتاج يملك فى نفس الوقت أدوات الانتاج . لا توجـد عملية انفصـام بين عملية الانتاج والقائم بها والمنتج . أضف الى هذا أنه فى مرحلة التطور التى اتخذناها ، الواضح اننا اخذنا بتطور سليم ، يعنى هذا وجود قوى متحالفة ، ذكرها الميثاق وهى القوى الخمس ، العمال والفلاحون والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية وهذا التحالف تم نتيجة أن الثورة كانت ثورة سلمية وبالتالى ثبت أن هذا التحالف كان مصلحة مشتركة للمجتمع ، لهذا نجد أن اطار العمل فى الميثاق قد يختلف فى شكله وتطوره وعمله عن البلاد التى كانت فيها تغيرات عنيفة وثورات قامت بشكل آخر . وهذا يظهر لنا شكل الاطار العام الذى يتم فيه تطوير المجتمع وهنا حـدد

الميثاق خطة عميقة لم يتركها لعملية الارتجال أو القصور الفكرى .

لقد حدد الميثاق ضرورة سيطرة المجتمع على الموارد الرئيسية كالبنوك وشركات التأمين والصناعات الكبيرة المؤثرة فى الاقتصاد والصناعات الأساسية وهياكل الانتاج الكبرى . أما الصناعات الخفيفة ، فبما أنها بسيطة وترتبط بالصناعات الثقيلة وتعتمد عليها فمن الممكن أن تكون فى يد الأفراد بشرط أن تخضع للرقابة الشعبية .

ومن الممكن مع ذلك أن يفتح الباب جزئيا لدور رأس المال الفردى سواء كان رأس المال محليا أو أجنبيا لأن فى هذه المرحلة قد نحتاج لرأس مال أجنبى .

الديمقراطية والمجالس الشعبية

وتكلم السيد كمال رفعت عن الديمقراطية فقال :

لقد جاء فى الميثاق أن الثورة ليست عمل فرد وليست عمل فئة ولكنها ثورة شعب وتظهر قيمة هذه الثورة بمدى ما تستطيع تعبئته من قوى الجماهير لاعادة صنع مستقبلها وهذه حقيقة وعاها الميثاق وأكد عليها بل اننا نجد أن دور الشعب فى بناء المجتمع هو الدور الأساسى فكم من الشعوب لها دور فى تاريخ المجتمع وأصبح لها أيضا دور فى بناء هذا المجتمع وتأتى فكرة المشاركة الجماهيرية فى هذا البناء سواء فى الناحية السياسية أو الاجتماعية أو فى حقيقة الظروف التى يعيش فيها مجتمعها

ومن المعروف دائما أن الدول المتقدمة انما تحاول أن تفرض التقدم بالنسبة لمجتمعاتها عن طريق سلاح العلم

والتكنولوجيا وبواسطتهما تستطيع أن تفرض هـذا التقـدم أما بالنسبة للدول النامية وهى المرحلة التى تجتـازها مجتمعاتنا حاليا فان عليها أن تواجه مشكلتين رئيسيتين

الأولى : هى كيفية تعبئة الموارد المـادية فى المجتمع

والثانية : هى كيفية تعبئة الموارد البشرية فى هـذا المجتمع .

ومن هنا كانت المشاركة الجماهيرية فى مجتمعنا من العوامل الرئيسية فى بناء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى ان المشاركة الجماهيرية فى حد ذاتها تعنى أن الجماهير بكافة قطاعاتها وقوى الشعب العاملة بكافة عنـاصرها تشارك فى هذا البناء بل ان كل عنصر من هـذه العناصر عليه مسئوليـات وعليـه واجبـات يجب عليه أن يؤديها وعليه خدمات لهذا المجتمع ، ومن هنا كانت الديمقراطية من العوامل الأساسية لدفع المجتمع الاشتراكى الى الأمام لأنه لا يمكن أن يقوم المجتمع الاشتراكى السليم ما لم تقم الديمقراطية الحقيقية فى هذا المجتمع لأنه ما دام الشـعب هو الذى يسيطر على قواه الاقتصـادية فانه بالتالى أيضا يجب أن يسيطر على قواه السياسية ، والديمقراطية تعنى حكم الشعب بواسطة الشعب ومن أجل الشعب ومن هنا كانت أهمية دور الجماهير ودور قوى الشعب العاملة فى بناء الديمقراطية وفى تحقيق الحرية فى المجتمع الديمقراطى وان المجتمعات الاشتراكية تتميز بناحتين أساسيتين ناحية الكم أى ناحية الشمول والاتساع بمعنى أن كلّ خلية وكل وحدة بلّ وكل فرد فى المجتمع الاشتراكى عليه أن يمارس الديمقراطية ويمارس الحرية ومن هنا كانت الديمقراطية الاشـتراكية أكثر شـمولا واتسـاعا من الديمقراطيـة فى المجتمعات الراسمالية .

فالديمقراطية فى المجتمع الراسمالى هى ديمقراطية القلة أو ديمقراطية طبقة معينة وهى الطبقـة التى تملك القـوى الاقتصـادية فى المجتمع وبالتالى تسـيطر على القوى

الاقتصـــادية فيه اما الديمقراطيــة الاشتراكية فهى تنبع اساسا من تملك الشعب وســـيطرة الشعب على قواه الاقتصادية وبالتالي قوى الشعب الحقيقية التى يجب ان تمارس الديمقراطية وتمارس الحرية . ومن هنــا تمتــاز الديمقراطية الاشتراكية بالشمول أى ناحيـــة الكم اما من ناحية الكيف فلا يمكن أن تقوم الديمقراطيــة السياسية الا اذا كانت هناك ديمقراطية اجتماعية ومعنى الديمقراطية الاجتماعية أن يكون هناك تكافؤ فى الفرص بين المواطنين وأن يأمن الفرد فى المجتمع الاشتراكى على مستقبله ويزول القلق والخوف من المستقبل كما انه من الضرورى لقيـــام الديمقراطية الحقيقية أن يتحرر الفرد من الاستغلال ومن السيطرة الطبقية فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقوم الديمقراطية الحقيقية فى ظل سيطرة طبقة لأن سيطرة الطبقة معناها الديمقراطية والحرية فقط لهذه الطبقة دون باقى طبقات المجتمع .

ومن هنا كانت الديمقراطية الاجتماعية هى الأساس وقاعدة الديمقراطية السياسية فى اى مجتمع يوجد فيه صراع بين الطبقات وكما جاء فى الميثاق فان الصراع الطبقى أمر حتمى ولكنه يحل فى مجتمعنا بالوسائل السلمية اى أن تذاب الفوارق بين الطبقات لتستطيع قوى الشعب العاملة ممارسة حقوقها الاجتماعية والسياسية دون تفرقة ودون تمييز بين العناصر المكونة لتحالف قوى الشعب العاملة ولعل ابرز شىء فى تطبيقنا للديمقراطية هو التنظيم الجماهيرى أو التنظيم السياسى الذى فى اطاره تجتمع قوى الشعب العاملة وهو الاتحاد الاشتراكى العربى .

فالاتحاد الاشتراكى كاطار يجمع هذه القوى يجعل من الممكن ــ لكافة العناصر المكونة لهذا التحالف ــ ممارســـة حريتها ومن ممارسة ديمقراطيتها ومن حل كافة التناقضات غير العدائية بين قوى الشعب العامل وفى داخل هذا الاطار اذا نظرنا الى الاتحاد الأشتراكي العربى فتجد أنه فى القاعدة ويشمل أكثر من ٧٠٠٠ وحدة بين وحدات ســـكنية أو

جغرافية أو وحدات جماهيرية وكل وحدة تتشكل من لجنة عشرينية ومن مؤتمر لهذه الوحدة .

وهكذا نرى كيف تتسع الديمقراطية وكيف تشكل القاعدة الديمقراطية أكبر قطاعات ممكنة من الشعب ثم تتدرج أو تتدرج الممارسة الديمقراطية الى كافة المستويات فى المدينة وفى المحافظة ثم على مستوى الجمهورية . ولم يقتصر التطبيق الديمقراطى على هذا المجال فى داخل التنظيم الجماهيرى أو التنظيم السياسى بل اننا نجد ان هناك طرقا أخرى لممارسة الديمقراطية هى المجالس التشريعية التى نجد منها حاليا مجلس الأمة على مستوى الجمهورية وهو مجلس منتخب انتخابا مباشرا من القاعدة الشعبية ثم نجد أن الميثاق يؤكد على اهمية اقامة مثل هذه المجالس على مستوى المحافظات وعلى مستوى المدينة ومستوى القرية ومن هنا تتسع قاعدة الديمقراطية الشعبية لكى يساهم فيها الشعب ويشارك فيها لتكون هناك مشاركة حقيقية للجماهير فى مناقشة كافة مشاكلها السياسية والاجتماعية بل ان الأمر لم يقتصر على ذلك بل ان الميثاق نص أيضا على أن التنظيمات الشعبية الأخرى مثل النقابات والجمعيات التعاونية والاتحادات ونقابات العمال الزراعيين هى منظمات جماهيرية تساهم فى بناء العمل الديمقراطى والعمل السياسى على جماهيرها بل ان واجب هذه المنظمات ممارسة هذا العمل بل أكثر من ذلك تكون مدرسة لممارسة الديمقراطية ولممارسة الديمقراطية لقوى الشعب العاملة ، بل لقد اكد الميثاق على سلطة هذه المجالس الشعبية وانها فوق سلطة المجالس التنفيذية بل انها تملك حق المراقبة ولها حق التوجيه بل اننا نجد أن النص على تمثيل العمال والفلاحين على الأقل بنسبة ٥٠٪ على كافة المستويات المنتخبة .. هو تأكيد للديمقراطية الحقيقية التى تنبع من قوى الشعب العامل كما ان التأكيد على جماعية القيادة لمنع الانحراف ولمنع الانفرادية فى العمل هو تأكيد للديمقراطية الاشتراكية على وضعها الجديد ، كما نص الميثاق فى نواح أخرى على عملية النقد والنقد الذاتى اذ أن النقد والنقد

الذاتى من الأمور الأساسية فى قيام المجتمع الديمقراطى وان خلو كافة المجالس من النقد والنقد الذاتى يجعلها بلا فعالية ولا تستطيع أن تمثل حقيقة مصالح جماهير الشعب بل أكثر من ذلك ان تسلل العناصر الرجعية والعناصر الانتهازية الى مثل هذه المجالس قد يبطل اثر الديمقراطية فيها لأن هذه العناصر من طبيعتها النقد وتخشى النقد الذاتى بل تهدف الى تجميد مثل هذه المجالس لتكون مجرد صور لا توضح حقيقة الجماهير الشعبية وحقيقة المطالب الجماهيرية التى تطالب بها القاعدة .

والديمقراطية لكى تأخذ طريقها الصحيح يجب أن تمس نواحى أخرى فى نشاط المجتمع ويجب أن تمس التعليم وأن يتاح التعليم لكى يسهم فى تيار الرجال الأحرار ويسهم فى أبراز ملكات الفرد ويسهم فى اطلاق كافة الكوامن الحقيقة الخلاقة بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع .

بل لكى تستطيع الديمقراطية أن تسير فى طريقها وأن تحقق طريقها يجب أن تكون القوانين التى تحكم المجتمع وتحكم تصرفات الأفراد فيه قوانين تقدمية وليست قوانين رجعية لأن القوانين الرجعية فى حد ذاتها تعتبر قيدا على حرية الشعب وقيدا على ممارسة الديمقراطية الحقيقية بل أن اللوائح الحكومية التى تعرقل العمل تؤدى بالتالى الى وجود البيروقراطية والعمل المكتبى وهذا فى حد ذاته قيد آخر على انطلاق الحرية وممارسة الديمقراطية فى المجتمع ومن هنا كان العمل الديمقراطى والعمل السياسى والمشاركة الجماهيرية أساسا من أسس مجتمعنا الديمقراطى يجب أن تسير فى خط متواز مع الاشتراكية فلا يمكن أن تقوم اشتراكية بلا ديمقراطية .

الجيش والالتحام بالجماهير

وتحدث بعد ذلك العميد حسنى عبد المجيد عن حتمية الارتباط بين الجيش وبين الجماهير .. قال ..

اعتقد اننى موجود فى هذا الاجتماع ليس كرجل فى القوات المسلحة انما كعضو فى قوى الشعب العاملة ، وقد حدد الميثاق قوى الشعب العاملة بانها العمال ـ الفلاحون ـ الجنود ـ الرأسمالية الوطنية ـ المثقفون وكلمة الجنود على اطلاقها تعني الضباط والعساكر وهذا الكلام فى الواقع هو تشريف للقوات المسلحة على اعتبار انها بدأت تعرف الوضع الطبيعى الذى تتلقى منه الأوامر ، فاذا أردنا أن نتكلم عن القوات المسلحة فى ظل الميثاق لا نستطيع أن نتكلم عنها ونحن فى معزل عن المجتمع الاشتراكي .

فعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو كان الجيش هو الطليعة ، وكان الجيش فى هذا يتلقى وصية من الشعب ويتحرك بأوامر من الشعب .. ان الذى قام بثورة ٢٣ يوليو هو الشعب وآمال الشعب والتطلعات الشعبية هى التى دفعت العناصر العسكرية لكى تتولى الجانب العسكرى من ثورة ٢٣ يوليو، وكان دور الجيش فى هذه العملية كدور عسكرى موجه من

قائده والقائد فى هذا المجال هو الشعب واثبت الجيش فى هذا لأول مرة ــ وارجو الا أكون مغاليا فى هذا ــ انه يريد أن يخطو خطوة تنفيذية تجاه آمال الشعب ، ولذلك ترى أنه فى الخمسينيات قد رفعت القيادة الثورية شعارا لهذا الجيش وهو اقامة جيش وطنى قوى .

وقد كانت المبادىء الستةالتى آمنت بها الثورة وجعلتها منهاجا للعمل الوطنى هى القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار ورأس المال المستغل ، واقامة العدالة الاجتماعية ، اقامة جيش وطنى قوى ، ثم الحياة الديمقراطية السليمة .

فنجد أن القيادة الثورية قد خصصت مبدأ كاملا من مبادىء العمل الوطنى باسم القوات المسلحة وقبل أن أدخل فى التخصيص وأحلله لابد أن تكون هناك نظرة شاملة لهذه المبادىء فلا يمكن أن يدرس القضاء على الاستعمار بمعزل عن القوات المسلحة ، فالذى قضى على الاستعمار هو الشعب ولكن القوات المسلحة كقطاع من هذا الشعب كان لها مهمة وكان عليها واجب يجب أن تقوم به فهى جزء من كل ، واذا تكلمنا عن الاقطاع وهو الاستعمار فى القرية ومحاولة اسقاط الاقطاع فهل يمكن الحديث عن الاقطاع منفصلا عن القوات المسلحة علما بأن القرية تصدر ٨٢ ٪ ــ اذا جاز هذا التعبير ــ من أفراد القوات المسلحة وما هى الآثار الاجتماعية التى تدور فى ذهن الجندى المقاتل عندما يأتى الى القوات المسلحة ويشعر أن الاقطاع قد سقط فى القرية وأن عشيرته قد أمنت وأن رزقه قد أمن وهذا هو النتيجة التلقائية لسقوط الاقطاع فى القرية فان انعكاس هذا على الجندى سيؤدى به الى الالتصاق بالأرض والى الالتصاق بالسلاح الذى فى يده وبالأهداف التى تسعى اليها وهذا سيؤدى الى كسب مؤكد للمعركة .

واذا نظرنا لمبادىء العمل الوطنى نجد ان كل مبدأ من هذه المبادىء ينعكس أثره على الشعب فمبدأ اقامة العدالة

الاجتماعية لابد ان يعكس نفسه على كل فـرد من القوات المسلحة ايمانا بهذا المجتمع وايمانا بمبادئه .

واذا انتقلنا الى مبدأ الديمقراطية السليمة نجد أن هناك فرقا كبيرا فى مفهوم هذا المبدأ بين مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو وبين مجتمعنا الاشتراكى فقد اصبح هذا المفهوم هو مفهوم الحيـاة ـ مفهوم حياتنا كمـا ينبغى أن نعيشها ونطوعها لآمالنا ، كل هـذه المبادىء الستة التى وردت فى مبـادىء العمل الوطنى فى أوائل الخمسينيات كانت تدل دلالة أكيدة على أن هناك دورا للقوات المسلحة ، وهذا الدور قد أفصح عنه الميثاق وأوضح كل أبعاده واذا نظرنا الى المبدأ الخامس وهو اقامة جيش وطنى قوى نجد أن الوطنية تسبق القول هنا لأن الجيش فى ٢٣ يوليـو أراد ان يقف منفـذا لآمال الشعب وأنه قد بدأ يخطو خطوة تنفيذية تجاه آمال هذا الشعب .

وهذه الوطنية فى مدلول الجيش الوطنى لابد أن تدعم بالقوى المادية وهذه القوى المادية لابد أن تبرز فى صورة أو فى أخرى وقد برزت فى شكل كسر احتكار السلاح فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ واننى أقرر بصفتى احـد المسئولين عن قطاع التوجيه والتوعية أن كسر احتكار السلاح هو انطلاقة رهيبة للقوات المسلحة ونحن الذين عاصرنا مجتمع ما قبل ثورة ٢٣ يوليو شعرنا أنه بعد كسر احتكار السلاح قد تحررت القوات المسلحة من ناحية التقييد الذى كانت تعيش فيـه وأن مـدلول الحرية ينسـحب على الجيش الوطنى فاذا ما حررناه من كافة القيود التى كانت تعوق انطلاقه فان هذا الجيش سـوف تتوافر له كافة المعدات والاسلحة وملكيته لهـذه القطـع تتطلب منه أن يكون على درجـة من العـلم والتكنولوجيا فلابد من أن يرتفـع مسـتوى الجنـود الى مستوى ما وصل اليهم من سلاح . واذا نظرنا اعتبارا من قيام ثورة ٢٣ يوليو حتى الثورة الاشتراكية فى سنة ١٩٦١ نجـد أن الثورة قد تركت علامات على طريق النضـال ،

وحلقات متصلة ولا يمكن أن نفصل هذهالحلقات عن القوات المسلحة فهذه القوات المسلحة هى جزء من كل ، فمثلا عند العدوان علينا فى سنة ١٩٥٦ ولم يكن الجيش قد مضى عليه عام واحد بعد كسر احتكار السلاح فى سنة ١٩٥٥ وكانهذا العدوان كرد مباشر على تأميم قناة السويس وتأميم قناة السويس متصل أصلا بتشييد واقامة السد العالى واقامة السد العالى متصل أصلا بحياتنا الجديدة أى التغييرات الاجتماعية التى بدأنا ننادى بها والتى نعتبر أنها الحل الوحيد .. اذن عدوان سنة ١٩٥٦ لم يكن ردا على تأميم قناة السويس وانما كان محاولة للقضاء على التغييراتالاجتماعية والقضاء على أية فرصة لحياة جديدة لهذا المجتمع داخل الوطن العربى الذى أثبت أن ثورة ٢٣ يوليو قادرة على تحويل سلسلة ثوراتها من ثورة سياسية الى اجتماعية الى عسكرية الخ . وبالتالى فان العدوان كان ضد حياتنا وكهدف رئيسى للقضاء على كل المقومات حتى يكون درسا بليغا لنا ودرسا للعالم العربى من الاستعمار .

واذا تسلسلنا مع علامات النضال وسرنا مع الحلقات نجد أيضا أن الميثاق الذى صدر فى مايو سنة ١٩٦٢ أشار الى نقطة هامة ترتبط بأقدس معركة فقد أشار الى أنه على القوات المسلحة أن تؤيد الثورات التقدمية التى تقوم فى العالم العربى وقد أشار الميثاق الى هذا عندما صدر فى مايو سنة ١٩٦٢ أى قبل ثورة اليمن التى قامت فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ ومعنى هذا أن الشعارات التى وردت فى الميثاق سابقة على قيام ثورة اليمنوبالتالى فان قرار مساندةالثورة اليمنية انما ورد أصلا فى الميثاق وبالتالى تحددت مهمة القوات المسلحة الواردة فى الميثاق حتى قبل أن تقوم ثورة اليمن .

ففى الواقع أن ثورة اليمن التى قامت فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢ تعبيرا عن مضمون عربى جديد فتحت الباب أمام سلسلة من الثورات الشعبية فاذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد فتحت الباب أمام ثورات فى العالم العربى منها ثورة

الجزائر سنة ١٩٥٤ وثورة العراق سنة ١٩٥٨ واذا سلمنا بهذا فان ثورة اليمن كان لها علاقة مباشرة بالثورة التى أسقطت الانفصال فى سوريا والثورة التى أطاحت بالحكم الرجعى فى العراق اذن فان الثورة العربية التى تقوم فى دولة عربية تقدمية انما تمهد أيضا لسلسلة من الثورات التقدمية التى تضيف رصيدا جديدا الى القوى التقدمية فى العالم العربى .

وقد قلت فى أول كلامى اننا لايمكن أن نتكلم عن القوات المسلحة بمعزل عن المجتمع الاشتراكى ، وسبق لى آن حضرت حرب سنة ١٩٤٨ وكانت هناك تناقضات تحكم هذا المجتمع ودخلنا حرب سنة ١٩٥٦ ولم نكن قد استكملنا قوتنا وبالرغم من هذا نجد أن الأعداء قد أشادوا بأبو عجيلة ورفح وبالمسيرة الاجتماعية من سنة ١٩٥٦ حتى سنة١٩٦٢ واذا وقفنا وقفة طويلة عند القرارات الاشتراكية التى صدرت فى سنة ١٩٦١ والتى وضعت اللبنة الأولى فى التغييرات الاجتماعية فى مجتمعنا الاشتراكي فسندرك كيف انعكست هذه التغييرات على القوات المسلحة .

فالميثاق عندما تناول القوات المسلحة تكلم عن الجيش الوطنى القوى فان قوى هذا الجيش تكمن فى المستودع العظيم للقوى الاجتماعية للشعب فلولا قدرة المجتمع على تزويد هذا الجيش باليد الضاربة لما تمكنت قواتنا من أن تقيم دعائم القومية العربية فى اليمن .

قد يسأل سائل ؟ ما علاقة الحل الاشتراكى الذى تكلم عنه الميثاق بالقوات المسلحة . والرد على هذا ان هذه العلاقة هى علاقة طبيعية وثيقة لأن الحل الاشتراكى هو سيطرة الشعب على وسائل الانتاج فاذا تسنى للشعب أن يسيطر على وسائل الانتاج وبما ان الشعب له الولاء وكل الولاء من القوات المسلحة فان الشعب لن يدخر وسعا فى منح القوات

كل ما يمكنها من أن تقف على قـدم الاستعداد لكى تنفـذ أهدافه القومية وطبقا لتطلباته وآماله .

اذن من خلال هذه المسيرة الطويلة من ٢٣ يوليو حتى اليوم نجد علاقات وتقاليد على طريق النضال وفى كل خطوة تجد علاقات مشتركة بيننا وبين الشعب فلا يمكن عندما نتحدث عن النضـال الشعبى أن نفصل الجيش عن الشعب فالجيش كجزء من كل وجزء من الأمل والميثاق يكلل هذا الكلام كله وهذه الأهداف يمنح القوات المسلحة مهام محددة وأهدافا محددة ، وأن القيادة الثورية عندما منحت القوات المسلحة ثقتها وأملها ومكنتها من السلاح والمعدات ومكنتها من أن تحصل على ولاء الشـعب ، وأن تجعل الجيش هو خفير الشعب ولابد ان يترجم هذا ترجمة عملية فى أن تتولى القـوات المسلحة تنفيـذ المهام القومية وفى أن تنسف أى مؤامرات عدوانية استعمارية فى اطار كل العـالم العـربى بالاضافة الى أنه يجب أن تكون القوات المسلحة دائما واعية ومدركة لأهدافنا حافظة للمكاسب الاشتراكية وفى الواقـع أن عضـــوية الجنود كما أوضحت فى أول كلامى فى قـوى الشعب العاملة هذا لايعنى على الاطلاق الا مفهوما واحدا نحن نفهمه كضباط وجنود فى القوات المسلحة هو أن الجندى يقف جنبا الى جنب مع العامل .

فاذا كان العامل يقف على حدود الآلة واذا كان العامل يقف على حدود المصنع للدفاع عن الوطن فى صورة الانتاج واذا كان الفلاح يقف عند حدود الارض للدفاع عن الوطـن فى صورة زيادة انتاجية الأرض فان الجندى يقف على حدود الوطن للدفاع بالمفهوم العسكرى كالعامل الذى يقف للدفاع عن الوطن بالمفهوم الانتـاجى أو الفـلاح الذى يقف للدفاع عن الوطن بمفهوم الانتاج الزراعى وهكذا بالنسبة لكل قـوى الشعب العاملة .

وقبل أن أختتم كلامى فى هذا اللقاء احب أن أقول أن كل فرد فى القوات المسلحة يشعر أن معركة اليمن ليست هدفا فى حد ذاتها انما هى مقدمة لمعركة المصير ضد اسرائيل .

الثقافة والحرية

وتحدث الدكتور حسين فوزى عن الثقـافة فى الميثاق .. فقال ..

قضيت اليوم والليـلة السابقة أطالع نص الميثاق ، وأحب أن اعترف بأنى منذ سنة ١٩٦٢ وقـد استمعت الى كل المناقشـات التى دارت حول الميثاق واستمعت الى الميثاق نفسه ، أحب أن اعترف اننى لم أعد الى الميثاق الا لبحث بعض النقاط فى موضوع محـدد معين . انما بالأمس طالعت الميثاق كوثيقة جديدة وأعنى بكلمة وثيقة أن الميثاق هو مستند يتوافق عليه الناس .

لذلك سأتكلم عن الميثـاق كمجرد وثيقة أو مستند ، مثل وثيقة حقوق الانسان مثلا .

فهل الثقافة فى هـذه الوثيقة واضحة ؟ انهـا أكثر من واضحة ، ان السند الأول للميثاق .. أن الروح التى جرت عليهـا هـذه الوثيقة هو التاريخ . فهو وثيقـة خرجت من ضمير شعب يعيش التاريخ . والتاريخ فى الثقافة أساس من أسسها . وانمـا صلب الثقـافة الحقيقيـة هو التـاريخ ، والشعب الحى يعيش فى تاريخه ويستلهم تاريخه ليعيش حاضره ويعيش حاضره ليخطط لمستقبله وهذا بالضبط ما يوجد فى الميثاق القومى .

ومن شئون الثقافة الأخرى فى الميثاق ، العلم ، انكم تجدون فى هذه الوثيقة نفحتين من أقوى النفحات ، الأولى التاريخية والثانية العلمية وقيمة الوثائق ليست فى انها مجرد كلام مكتوب بل لأن الوثائق التاريخية مثل وثائق حقوق الانسان لم تصدر مجرد صدور ابان الثورة الفرنسية بل صدرت لأنها تمثل مشاعر الشعب وآمال الشعب وتستوحى تاريخ النضال لهذا الشعب وتضع له دستور الحاضر وتخطط له دستور المستقبل . وهذا كله موجود فى ميثاق العمل الوطنى .

والعلم ضرورة وليس مجرد أساس أدبى فى الميثاق لأن الحياة المعاصرة تعنى الا يعيش الانسان الا حسب مخطط معين ولا يعيش الا بعد أن يدرك معنى نضاله ومعنى ثورته ويستطيع أن يعيش لحاضره والمستقبل ، والعلم فى الميثاق يتصل بحقيقة رائعة أو الثقافة فى الميثاق استندت الى حقيقة تعطى حق الحياة ، وهى الحرية لأن الفكر الانسانى لا ينطلق ولا يتحرك ولا يبتدع ولا يخلق الا فى جو من الحرية ، والميثاق أكد فى أكثر من باب على هذه الحرية ، حرية البحث العلمى ، وحرية الانتاج الفنى ، وكل هذا واضح فى أبواب الميثاق .

وقد تركت الى الآن ، ما لاحظته بين الاستماع ومطالعة الميثاق سنة ١٩٦٢ وبين مطالعتى له الآن . كان الميثاق املا مخططا ، كان كادرا للعمل القومى ، واذا بى بعد مطالعتى اياه ، أراه وثيقة حية تنبض بالحياة ، لماذا ؟ لأن بين سنة ٦٢ وسنة ٦٦ ، تتحرك هذه الوثيقة وتعيش ، نحن نعيشها ، عندما كنا نستمع الى الميثاق كنا نتصور ماذا تكون عليه صورة البناء والتنظيم . ولكننا فى هذه السنوات نعيش هذا البناء ، نعيش هذا الميثاق ، نعيش كيانا حيا .

لا أريد أن أطيل عليكم . ان ظاهرة هذه الحياة لميثاق العمل القومى كانت فى ضميرى تشبه بعض المسائل التاريخية ، تشبه بناء السد العالى ، لأن خبرتى فى السد

العالى هى اننى رايت ارضا قاحلة صحراوية صخرية ونهرا يجرى الى خزان أسوان ثم وجدت هذه الارض تقام فيها منشآت للحياة فى حاضرها ومستقبلها . وقد رأيت السد العالي مجرد امل . وتعرفون انتم ما معنى هذا الأمل وما هى القوة التي دفعت بالثورة عند قيام هذا العمل سنة ٥٦ ، ثم هذا الامل وهذا التخيل يتحول من ارض قاحلة جرداء الى حقيقة قائمة ، كان هــذا هــو شعورى الروحي والادبى وانا أطالع بالأمس مطالعة كاملة ميثاق العمل القومى ، انه كائن حى لأننا نعيشه فى حاضرنا ونعيش ونخطط أيضا لمستقبلنا على أساس هذه الوثيقة العظيمة .

القيم الروحية

وعن القيم الروحيــة فى الميثـاق وأثرها فى الانسان كان حديث الدكتور عبد العزيز كامل .. قال ..

المـلاحظة الأولى التى أود أن أذكرها فيما يتعلق بالحديث عن القيم الروحية فى الميثاق ، أن الميثـاق لم يخصص لهـا بابا معينا أو مكانا معينا بينما نجد أن الميثاق قـد خصص فصولا معينة على سبيل المثال للديموقـراطية والحل الاشتراكي ومشكلة التطبيق الاشتراكي والأوضاع العربية والعالمية فما الذى يمكن أن نخرج به من هذه الملاحظة الأولى ؟

اننا لو رجعنا الى الميثاق لوجدناه أولا يبدأ بنظرة سريعة على يوم خالد من أيام تاريخنا هو يوم ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ثم بعد هذا يتحدث عن المبادىء الستة ويظهر بعد ذلك ضمانات خمسة لثورتنا الشـاملة ويلقى نظرة الى المـاضى فيبـدأ فى

تاريخنا من أعمق عصوره ويتابع تاريخ النضال المصرى حتى يعود بنا الى الحاضر فاذا عاد الى الحاضر اكد ضرورة الوضع الديموقراطى ولم يجد له سبيلا الا الوضع الاشتراكى وفى الاشتراكية مشكلات ينبغى أن نتغلب عليها ، وبعد هذا ، بعد أن يتكامل الحديث عن الأوضاع الديموقراطية والاشتراكية والانتاج يفتح نظره على العالم من حوله فيدرس أوضاعنا العربية والعالمية ، هذا هو بناء الميثاق العام فاذا ما نظرنا الى الحديث عن القيم الروحية فى الميثاق وجدناها موزعة فى كل هذه الفصول مع تركيز فى بعض هذه الفصول ، اذا ما نظرنا الى هذه الليلة الخالدة ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ونظرنا الى الرجال الذين قاموا بهذا العمل واستطاعوا أن ينتزعوا أنفسهم من مشكلات الحياة اليومية الضيقة الى مشكلات هذا الوطن الكبير ويحسوا باحساس هذا الفلاح فى حقله وهذا العامل فى مصنعه وهذا الأب الذى يرعى أبناءه وهؤلاء الكادحون فى كل أرجاء وطننا ، ثم وضعوا أرواحهم فوق أكفهم فى هذه الليلة وخرجوا مجاهدين من أجل الملايين ، لا يمكن أن نرد هذا الا الى قيم روحية أصيلة للذين قاموا بهذه الثورة .

ثم ننتقل بعد هذا الى المبادىء الستة التى وضعتها هذه الأمة وننظر الى الضمانات الخمسة التى تصون هذه الثورة الشاملة . يذكر الميثاق فى هذه الضمانات الخمسة الارادة الثورية ويذكر الطليعة الثورية ويذكر الوعى العميق بالتاريخ والفكر المفتوح على التجارب العلمية ثم يذكر بعد ذلك ايمانا لا يتزعزع بالله ورسله ورسالته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان .

أن ارادة التغيير الثورى لا تعيش فى فراغ ، لا تبدأ من فراغ ولا تنتهى الى فراغ ، لابد أن تتجسد فى طليعة ثورية ، هذه الطليعة الثورية من أى الطاقات تستمد ، ومن أى النوافذ تستمد ، نجد أمامها ثلاثة أبواب ، باب يربطها بالماضى فلا تنقطع عن تاريخها وباب يربطها بالعالم من حولها

فلا تعيش متقوقعة على نفسها وباب يربطها بالله تبارك وتعالى فلا تعيش بمعزل عن خالقها .

ثم بعد ذلك حينما اكد الميثاق ضروزة الثورة ، قال انه يجب أن تعبىء لها كافة طاقات هذه الأمة مادية ومعنوية . فاذن نجد الحديث عن الطاقة الروحية مرة أخرى مع ضرورة الثورة ثم اذا جئنا بعد هذا الى المجتمع وتكوينه والنظام الجديد الذى أرادته الثورة والاختيار الذى اختارته له . انها لم ترتض لنفسها طريقا دمويا تغرق فيه هذه الأمة فى حمامات الدم انما اختارت طريق السلام وتذويب الفوارق بين الطبقات ، تجرد الاقطاع من أسلحته وتحول دون أن يسيطر رأس المال على الحكم ثم بعد هذا تضع الفرصة لكل مواطن شريف أن يحيا فى هذه الأمة شريفا ما دام ملتزما بهذا الميثاق الوطنى العظيم .

نحن لا نستطيع ان نرد هذا الاختيار الكريم الذى بدا فى الميثاق اساسا الا الى قيم روحية اصيلة فى هذه الأمة تفضل الخير ولا تلجأ الى سلاحها الا كما يلجأ الطبيب الى المشرط اذا عز اى علاج آخر .

ثم بعد هذا نجد حديثا مفصلا عن الدين فى هذا المجتمع فى الباب السابع ونجد أن الحديث عن الدين جاء بعد ان تحدث عن الأسرة باعتبارها حافظة لتقاليد هذا المجتمع مجددة لنسيجه متحركة به ومعه الى غايات النضال الوطنى .

هناك اذن واجب أصيل على الأسرة المصرية ، أن يكون لها ثلاثة جوانب ، جانب من المحافظة وجانب من التطور وجانب من الحركة والتفاعل الايجابى بينها وبين المجتمع على أن يكون هذا كله موجه نحو أهداف النضال الوطنى .

يعرض الميثاق بعد ذلك الى طابع الدين وجوهره مبينا أن هناك فرقا كبيرا بين جوهر الدين الداعى الى التقدم

والحركة والى رد حقوق الناس للناس ، وبين استغلال الدين تحت أى نوع من أنواع الاستغلال .

وهنا نجد نقطة عميقة واضحة فى الميثاق فانه حينما تكلم عن الدين ذكر سيدنا عيسى عليه السلام بأنه المعلم العظيم والمعلم الكبير ثم فرق بين هذه الدعوة السمحة الداعية الى المحبة وبين الغزو الصليبى الذى جاء الى ديارنا متسترا وراء صليب المسيح وهو منه براء ، كذلك نجد الميثاق فرق بين الدعوة الاسلامية بطهارتها ونقائها وبين الغزو العثمانى الذى جاء الى ديارنا متسترا باسم الاسلام .

هناك اذن تفرقة بين الدين كجوهر وعقيدة وبين من يريدون أن يستغلوا الدين من اى ناحية كانت .

ثم يأتى بعد ذلك أمر خطير ، هو مشكلات التطبيق وهى مشكلات جوهرية فى حياتنا . العمل حق ، العمل واجب ، العمل شرف والعمل حياة ، لا نستطيع أن نقيم اى انسان الا على أساس ما يعمل وعلى أساس ما يبذل الجهد ، هنا نجد قيما جديدة موجودة فى مجتمعنا تمجد اى انسان مادام عفر يده بتراب هذه الأرض أو وقف أمام آلته أو أمام سلاحه مدافعا عن الملايين من أبناء هذه الأمة ، وتقديس العمل فى الميثاق يستلزم أن نكون على المستوى الروحى الكريم الذى يجعلنا أمناء على الميثاق وأمناء على وطننا وعلى قضية الانتاج حتى نسير سيرا حثيثا الى تحقيق مجتمع الكفاية والعدل .

هنا ايها الأخوة نلاحظ أن القيم الروحية ليست أمرا منعزلا عن واقع المجتمع فهى فى حياتنا القومية وفى انتاجنا عبارة عن حوافز للانتاج هادية تحول بيننا وبين اى انحراف وهى دوافع تحفظ لنا مستوانا الذى نستطيع أن نعمل به وان ننتج لمجتمعنا خيرا كبيرا .

اذا وسعنا دائرتنا بعد ذلك الى العالم العربى والعالمى وجدنا أن وطننا يختار طريق التعايش السلمى ولا يختار

طريق الصراع الدموى على المستوى العالمى ، ومرة أخرى نستطيع أن نلمس ان هـذا اثر عميق من التراث الذى نؤمن به .

هذا التراث نستطيع ان نراه ممتدا عن أعماق التاريخ ثم يسرى مع تطور هذا التاريخ حتى نراه بعد هـذا فى مجتمعنا ثمارا وزهـورا وظلالا يانعة يعيش فيـــه الناس ويسعدون .

الصداقة مع الكتلة الاشتراكية

اما الدكتور ابراهيم صقر فقد تناول حديثه السياسة الخارجية كأداة لتحقيق أهدافنا قال . .

تحدث الزملاء الكرماء فتنـاولوا الخطوط الرئيسية العامة وأعطوا صورة كاملة شاملة ثم تناولوا بعد ذلك أجزاء من الميثاق وانتهى أخونا الدكتور عبد العزيز كامل بالحديث عن الدين والقيم الروحية وهى ركن من أركان مجتمعنا وهى عماد من عمد تحررنا واشتراكيتنا لأنها عماد من أعمدة الانسانية الحقيقية ، والدين بطبيعته الصافية النقية ، وبالضرورة عماد للتحرر وسند له ، واذا كانت بعض العناصر الرجعية المتسلطة وراء واجهة زائفة ، الدين منها براء ، فبعد الحديث الذى ساقه الينا الدكتور عبد العزيز وضح أن الدين براء من هذه العناصر وان هذا الستار يجب أن يكشف وان حقيقة الرجعية المتسلطة تسلطا أبعد ما يكون عن الدين ، المستغلة استغلالا ابعد ما يكون عن الدين يجب أن تجرد من كل ستار تستتر به وتحاول أن تخدع به الجماهير سواء فى سلوكها وتسلطها فيما مضى وما يمكن أن يتوقع منها كمسيطره أو مستغلة ، ولو أن منطق الدين

السمح النقى ليس فى حاجة الى تدعيم وليس فى حاجة الى تثبيت للمعاني الكريمة فيه لمساندة الرخاء والتقدم والمعادية معاداة ايجابية لكل محاولة رجعية تتستر وراءه للسيطرة والاستغلال .

وفى هذه الظاهرة الكريمة الليلة ، ظاهرة صدور ميثاق العمل الوطنى أحاول أن أمضى فيما ساقه الينا الاخوان من شرح وتفصيل الى سياستنا العربية وسياستنا الخارجية واسمحوا الى ان أربط بينهما . فكل حديث عن الميثاق جزء لا يتجزأ ولابد أن يكون حديثا مترابطا متكاملا منسقا .

واحب فى هذه الظاهرة أن أسوق بعض الحقائق والخطوط الرئيسية أحب أولا أن اقول أننا فى هذه الظاهرة لا نحتفل لمجرد المظهر والزخرف وانما نحتفل لنؤكد بعض المعانى فى نفوسنا ولنطور بعض هذه المعانى لتكون سلاحا لنا فى حاضرنا وتعبئة ومواجهة للتحديات ، وبهذا تكون هذه الظاهرة ذات قيمة خاصة وتحقق مزيدا من التعبئة وتضيف الى قوتنا يقظة وكفاية وفاعلية فى استعمال هذه القوة فى حماية مكاسبنا .

والأمر أيضا بمناسبة هذه الذكرى وبعد مرور بعض الوقت يحتاج فى كثير من الحالات ، ومع ظروفنا المتطورة ومع ظروف العالم المتغير الى أن نراجع موقفنا تحديدا لأحسن الوسائل انطلاقا الى اهدافنا ، هذه المراجعة ضرورية ضمانا لأكثر درجة من الايجابية والكفاية فى مواجهة التحديات الداخلية أو الخارجية بناء أو تقييما ، وهذا يقتضى أن نعود فنؤكد بعض المعانى العامة فى الميثاق وأن نعود فنطور الأمور كما ينبغى أن تطور حتى نحقق مزيدا من التأهب والاستعداد ونسلح انفسنا بمزيد من الخطط

واريد أن أضيف بعض الخطوط الرئيسية ، واريد أن أضع قاعدة معينة فى هذا الشأن ، وهى أن السياسة الخارجية لأى دولة من الدول هى امتداد لسياستها

وتدعيم الأدوات الأخرى التى تستعملها الدولة لتحقيق هذه الاهداف واذا قصرت السياسة الخارجية فى ذلك فانها تصبح سياسة غير ذات موضوع فاذا لم تكن السياسة الخارجية انعكاسا أمينا وصادقا لعملنا الوطنى التقدمى والشعبى فهى سياسة غير ذات موضوع ، ولتسمحوا لى اذن أن أقول أن سياستنا الداخلية هى تحقيق للاهداف التقدمية الشعبية وهى الحرية والاشتراكية والوحدة ، والحرية عماد من عمد الاشتراكية ومزيد من الانطلاق نحو تحقيق الأهداف الشعبية والوحدة ضمان أكيد وقاعدة أوسع وجبهة أعرض فى مواجهة التحديات كسبا وتدعيما وتأمينا ونحن نرى أن الميثاق يرسم خطوطا رئيسية لهذه السياسة الخارجية التى تساعد على تحقيق هذه الأهداف وعلى تدعيمها وعلى حمايتها فالميثاق يبرز ضرورة التعاون المتكافىء من اجل الرخاء ، والتعاون المتكافىء من أجل الرخاء هو ضرورة لكل الشعوب تحقيقا لأقصى مصلحة ممكنة لنا ، ان التعاون يكسر الاحتكار ويعطى فرصا لمزيد من حرية الحركة واننا بهذا نتمكن من أن نحصل على ما نريد تحقيقا للبناء وتدعيما له ، ويمكننا من أن نحصل عليه بأحسن الشروط الممكنة وبأحسن المواصفات . ويمكننا فى الجانب الآخر من كسر احتكار الصادرات أى نعطى مقابل ما نأخذ لأننا لابد أن نعطى مقابلا لما نأخذ فكلما حققنا أحسن الشروط الممكنة لما نعطى حصلنا على مزيد من الامكانيات تمكننا من أن نحصل على أقصى ما يمكن الحصول عليه كيفا وكما وفى الوقت المناسب حتى نتجنب الاختناقات والمتاعب وبالتالى نحقق أقصى سرعة ممكنة ، كلما اتسعت قاعدة التعاون معنا ، والمثل يقول « الف صديق ولا عدو واحد » ولهذا فاننا نجد أن الرئيس يلخص هذه المسألة فى احدى خطبه فيقول بأننا نتبع الصداقة مع الكل اى الصداقة مع كل من يمد الينا يدا متكافئة للتعاون وهى صداقة سمحة فى مواجهة التحديات هذه الصداقة على استعداد لأن تمد يدها لمن كان عدوا بالأمس اذا ما مد لها يدا متكافئة متعاونة اليوم ، وذلك من أجل الرخاء ومن أجل مصلحة متبادلة له ولنا .

ونحن اذن نسعى الى التعاون الى أوسع نطاق وعلى أوسع قاعدة وهذا يمكننا من المزيد من الانطلاق لتحقيق خيرنا وهذا ضرورى لنا كدولة تجمع القرش على القرش لتنمى نفسها وتعوض ما فاتها من الحرمان . وهو ضرورة أيضا لنا كدولة تنمى اقتصادها وهذا التعاون من الزم الأشياء لها فهو يمكنها من أن تتحرك ذاتيا بأقصى درجة ممكنة من التنمية الداخلية التى نبتغيها والتى تتمناها . وهذا يدعم ضرورة اتباع سياسة التعاون لتحقيق مصلحتنا جميعا لتحقيق أوسع قاعدة انتاجية تمكننا من تحقيق ارفع مستوى ممكن من المعيشة لأقصى عدد ممكن من الناس والمسألة لها أيضا جانب استراتيجى ، فالسياسة الخارجية يجب أن تهتم بهذا الجانب الاستراتيجى فنحن نبنى ولكننا أيضا قد يكون من الضرورى أن نواجه التحديات ونتصدى لمواجهة هذه التحديات ولقد ذكر الاخوان مسائل كثيرة منها كسر احتكار السلاح ، وقد أشار أحد الزملاء الى توسيع قاعدة البناء وتوزيع قطاعات البناء وان هذه مسألة هامة جدا وضرورية وهو الأساس للقوى الضاربة لأن هذه القوة فى العصر الحاضر تتمثل فى قوة المواهب وفى تنوع هذه المواهب فكلما تمكنا من تحقيق هذه القاعدة على أوسع نطاق تمكنا فى نفس الوقت بأسرع ما يمكن من تكوين القاعدة الصلبة والأساسية للقوة الضاربة التى تعتبر ضرورة فى عصر ما زالت تحكمه القوة فلا بد من أن نواجه القوة بقوة للدفاع عن مصالحنا ، اذن فان حصولنا على الخبرات وحصولنا على الأسلحة توسيع لقاعدة انتاجنا وذلك بمساندة قوتنا الضاربة بالتعاون مع الآخرين لاننا يجب الا نعزل انفسنا عن الخارج ولا نتقوقع فى داخلنا فهذاالتعاون يوسع الجبهة على أعدائنا ويعطينا مزيدا من القدرة ، وبوقوفنا الى جانب أصدقائنا نضمن وقوف أصدقائنا الى جانبنا وبمعرفة أصدقائنا الحقيقيين نعرف من معنا ومن علينا ونعرف طريقنا الى تدعيم قوتنا الداخلية بمزيد من القوة فى الخارج ، فكل

قوة لنا هى اضعاف للمعسكر الاستعمارى وكل اضعاف لقوتنا هو قوة بطريقة اخرى للمعسكر الاستعمارى . ان الاستقرار على هذه المبادىء والصمود عليهـا هو مسـألة أساسية تؤدى الى تحقيق كسب لنا .

وان الاستعمار نتيجة لتجاربة العديدة معنا والدروس التى اعطيناها له أصبح يفكر ألف مرة قبل أن يحاول اتخاذ اى تصرف نحونا ، ولذلك فانه فكر فى التستر بالدين زيفا ومخادعة .

ان صداقتنا الواسعة مع الدول التى تساندنا سيعوض لنا ما نشكو من نقص الموارد وسيعطينا مكانة أولية مرموقة ولا شك ان أصدقاءنا الذين كسبناهم هم سند وعون لنا فى العـالم وكلما زادت خطط التعـاون واتجاهاته وتكتلاته ومستوياته زاد ذلك فى تدعيم مبدأ التعاون وكلمـا سـاعد ذلك فى خلق جو سلام نحن فى حاجة اليه لأننا فى حاجة الى مزيد من التطور ، ونحن بموقعنا الاستراتيجى عرضة لأن يعتدى علينا الاستعمار كما حدث فى سنة ١٩٥٦ كما ان موقعنا الاستراتيجى يفرض علينا أن نحاول قدر المستطاع أن نجنب العالم حربا عالميا دمارها سيكون شاملا لا يعلم به الا الله . وهذه الحرب لابد أن تصيبنا أردنا أو لم نرد .

على هـذا الاساس تسير جهودنا فى نزع السـلاح وفى تدعيم التعاون الدولى وفى تثبيت قواعد السلام على أسس مستقرة من العدل والتعاون فى العمل . ولا شك أن سيادة جو السلام يؤدى الى تخفيف حدة التوتر الدولى وقـد يؤدى هذا الى تخفيض اعتمادات التسليح فى العالم ويؤدى الى تحول المنافسة بين الدول الكبرى الى المجالات الاقتصادية ونحن فى حاجة الى هذا تدعيما لتنمية اقتصادنا .

نحن فى حاجة الى السلام لأن الصراع المستمر فى العالم يؤدى الى ان الأقوى يريد أن يفرض نفسه على الأضعف وأن يفرض عليه سياسة المستغل المتحـكم ولذلك فان اصرارنا على عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى واصرارنا

على عدم استعمال القوة المسلحة ضد الشعوب منبثق من تجربتنا كما أن تدعيم مبدأ عدم التدخل يحقق للدول أن تختار طريق حياتها بنفسها وأن هـذا المبدأ تدعيم لمبادئنا ودفع لتحقيق أهدافنا ومصالحنا . والسـلام لا يمكن أن يستقر ما لم يكن قائمـا على العـدل وما زالت فى يد بعض العناصر المستغلة والمسيطرة والرجعية والاستعمارية عناصر قوة وهى لا تتردد اطلاقا فى محاولة استعمال هذه الوسائل ما سمحت لها الظروف ولذلك فكما قرر الميثاق لابد لكى يستقر مدؤنا على الارض استقرارا مطمئنـا من أن يكون بجانب محراثنا سلاح يحمى البناء .

وانتقل بعد هذا الى فترة الكفاح ضـد الاستعمار ؛ اننا عندما نكافح الاستعمار لنخرجه من أرضنا نحتاج الى مزيد من الجهد لتحقيق أهدافنا وعندما يخرج من البلاد كما خرج من عنـدنا فى سنة ١٩٥٦ فانه يحـاول أن يعود بشكل أو بآخر وتقدم المواصلات الآن وسرعة الطـائرات والتقـدم العلمى يمكنـه من أن يعود من القواعد البعيدة والقواعد الأبعـد أى أنه يمكن أن ينطلق الينا من قواعده مهددا مكاسبنا وانجازاتنا فهو عندما اعتدى علينا فى سنة ١٩٥٦ جاء الينا من قواعده فى قبرص . لذلك فاننا عندما نحارب القواعد العسـكرية انما نحاول بهذا تدعيم أمننا وتدعيم أمن الآخرين فنحن نكافح ضد الاستعمار فى كل مكان وان فى هذا مزيدا من الأمان لنا ومزيدا من الانطلاق وهو أيضا وفى نفس الوقت مزيد من الأمان للاخرين ومزيد من الانطلاق لهم لأن هذا يؤدى بنا الى أن نلتقى ونتعاون معا لأن الاسـتعمار هو الذى يعوق التعاون بين الدول المستقلة لأنه هو الذى يستغل الجميع فالاستعمار يسعى الى تحقيق مصلحته فقط دون مصـالح الشعوب التى يحتكرها فالحرية للدول الأخرى كسب لنا من النـاحية السياسية والاقتصادية وضمان لفتح جبهات أخرى ضـد الاستعمار واقامة قواعد أخرى للبناء والتحرر والتقـدم لتضاف الى قوتنا قوة تسندنا وتكتل المصـالح المشتركة للجميع .

واننا في الوقت الحاضر نجد أن الاستعمار يحاول أن يغير استراتيجيته فعندما يواجه بتصدينا له ينتقل الى أسلوب جديد والى استعمار جديد وكما يقول المثل « تحلف لى أصدقك أشوف أمورك أستعجب » فالاستعمار الجديد والاستعمار القديم لا يختلفان عن بعضهما ولكننا يجب أن نخاف أكثر من الاستعمار الجديد لأنه قد يخدع وقد يغرى بعدم الانتباه له . اذن نحن فى حاجة الى المزيد من الانتباه .

ومن هذا الاطار العام الشامل نقول ان هناك دوائر معينة تتحرك لتحقيق أهدافهـا وهى الدائرة الافريقية والدائرة الآسيوية الافريقية وهى التى تمتد الآن الى العالم الثالث تحمل شعار التعاون مع الجميع وأنا أقول ان تعاوننا فى المرحلة القادمة مع الكتلة الاشتراكية مسألة يجب أن تبرز وان تظهر وأن يكون واضحا فى ذهن كل منا أنها سلاح لنا وقوة لنا ومزيدا من التدعيم فى مواجهة الراسمالية المستغلة وهى التى تعيش على مساندة الرجعية التى تستفيد من فتات المائدة الدسمة وهذه الصداقة يجب أن تكون متبادلة لمصلحة جميع الأطراف ولتدعيم اتجاهاتنا التقدمية وتدعيما للبناء وتدعيما لأمننا .

سياستنا العربية

والآن أنتقل الى الدائرة العربية وفلسفة الثورة هى التمسك بهذه الدائرة وتقوية الارتباط والالتحام بين أجزاء الأمة العربية لاننا نواجه مصيرا واحدا ونعيش ظروفا متشابهة .. فمشكلة اسرائيل هى مشكلتنا جميعا وتحديات الاستعمار لنا جميعا واحدة وتحديات التنمية واحدة فهذه التحديات المشتركة تتطلب أن نواجهها بالعمل المشترك لتحقيق الهدف المشترك لأن العمل المشترك يؤدى الى نتائج أكثر من العمل المجزأ ، ولا يمكن أن نصل الى أهدافنا وجهودنا مفتتة ولهذا فقد أفرد الميثاق لسياستنا العربية بابا خاصا .. وقد تطورت سياستنا العربية مع السنين حتى وصلت الى شعار وحدة الهدف ، فلا يمكن أن تكون

هناك وحـدة بين رجعيـة مستغلة وبين شعوب تسعى لمصالحها ولمصالح مجموع الشعب لذلك فقد تطور شعار الوحدة من وحدة الصف الى وحدة الهدف وهذه الوحدة عندما تتحقق فاننا يمكن أن نقيم وحدة الأقطار على قاعدة أصيلة وعلى مراحل متتابعة .

ولا شك أن هناك بعض الأشخاص يقفون فى مواجهة ارادة التغيير وهم أصحاب مصلحة فى مواجهة هذا التغيير ولابد لنا من مواجهتهم ومعركتنا معهم هى معركة وقائية ولابد من أن نتصدى لهم وان معركتنا مع الاستعمار هى معركة مستمرة لأن الاستعمار لن يتركنا أبدا حتى لو تركنـاه نحن ، لأن وجـودنا ليس من مصلحته . فهذه المعركة لابد أن نخوضها مادامت قد فرضت علينا حتى نحافظ على البناء الذى بنيناه ونستمر فى عمليات البنـاء وفى هذه المعركة لابد من أن نقدر الموقف حق قدره حتى نعيد صنع الوسائل المناسبة لمواجهة هذه التحديات . وفى اطار الظروف الدولية المتغيرة نجد أن القوى الاشتراكية تؤيد التحرر وتدعو الى مزيد من الاشتراكية للشعوب وان أخطر مرحلة تمر بها الشعوب هى مرحلة التحول من القديم الى الجديد ومن المهم فى هذه المرحلة أن نحـدد موقفنا من الاستعمار لاننا اذا تخاذلنا أمامه فاننـا سـوف نخسر كل مكاسبنا التى حصلنا عليها وقد لا ينتهى الأمر عند ذلك بل قد نتأخر عما كنا عليه واذا صمدنا امام الاستعمار فلن تكون النتيجة اننا سنحافظ على ما بنيناه فقط انما سنمهد الطريق الى مزيد من المكاسب وبسرعة أكبر فنحن فى صـدامنا مع الاستعمار نهـدف الى تأمين المكاسب التى حصلنا عليها وان الموقف يقتضى منا أن نعرف العدو من الصديق . ونحن فى صـدامنا مع الرجعيـة والاستعمار نجد أن الشعوب فى كل مكان صديقة لنا ولن يصادقنا الاستعمار أو الرجعية لأن أهدافنا تختلف فهم يهدفون الى استغلال الشعوب وامتصاص دمائهم أما نحن فنهدف الى تحقيق العدالة الاجتماعية ويجب أن نعرف أصدقاءنا فى الخارج ونقف معهم ونحارب معهم ، وسبق

أن تكلم الاخوان قبلى عن تحالف قوى الشعب العاملة ؟ ولا شك ونحن نقتلع الآن جذور الرجعية انه ما زالت هناك بعض الجذور فى الأرض ويمكن أن تظهر بعض الحشائش على الأرض الخصبة فيجب أن تنزع هذه الحشائش وهكذا قد يظهر بعض الرجعيين فى هذا التحالف فيجب أن نعمل على اقتلاع الرجعية حتى لا نسمح للبناء الداخلى بالتفكك فيجب أن يكون هناك تنظيم للقوى صاحبة المصلحة ويجب أن تكون هناك طاقات نعبئها لمواجهة هذه التكتلات حتى نؤمن العمل الوطنى فى الداخل . أن هذه القوى يجب أن تكون هى الدرع الواقية للمكاسب والانجازات التى تحققت ويجب أن نواجه الصدام فى الداخل وفى الخارج بمزيد من الاستعداد حفاظاعلى المكاسب التى تحققت ولمزيد من المكاسب ايمانا منا بأن معركة الرخاء ومعركة السلام ومعركة الحرية أجزاء مرتبطة أشد الارتباط وأن الهيكل الثورى هو وحده الكفيل بمواجهة هذه التحديات ومواجهة الرجعية وسحق كل محاولة للتصدى لنا أو محاولةلضرب انجازاتنا ومكاسبنا .

القيادات الثورية

واختتم السيد كمال رفعت الندوة قائلا :

من هذه الندوة الشاملة التى أوضحت كثيرا من معالم حياتنا التى برزت أساسا فى ميثاقنا الوطنى والتى استطاع السادة المحاضرون أن يوفوها حقهـا من البحث والشرح لا أجد فى الواقع فى نهاية هذه الندوة ما أقوله أكثر مما قيل .

ولكن الذى أستطيع أن أوكد عليه أن هـذا الميثاق الذى كان تعبيرا حقيقيا عن نضال شعبنا وكفاحه والذى انبثق من هذا الكفاح وهذا النضال والذى أكد الشعب بالتمسك به أنه انما هو يدافع فى الوقت ذاته عن كيانه وقيمته ومبادئه ، ومن هنا كان استيعاب الميثاق من الأمور الأساسية التى يجب أن نعيها ، فقراءة الميثاق نستطيع أن نخرج منها بقيم ومبادىء جديدة تتفق ومراحل التطور التى تجتازها الحركة الثورية . فالميثاق فى مبـادئه وتطبيقـه فى حياة مجتمعنا فتح آفاقا جديدة ونطاقات كبيرة للفكر والعمل فى مجتمعنا ، وهو اذا كان قد صدر عام ١٩٦٢ وكمـا قلت فى كلمتى الأولى كان يعبر عن الماضى وكان يعبر عن الحاضر ويرسم طريق المستقبل فطريق المستقبل دائما مفتوح ولا يمكن لأى مجتمع أن يتقوقع فى اطار نظرية جامدة والا قضى على نفسه بالانتهاء . أن الحضـارات الانسـانية التى لعبت دورا أساسيا فى تطور العالم ، حينمـا تجمدت

ولم تتفاعل مع حركة التطور كانت المبادىء التى ابرزتها هى السبب أيضا فى انحدار هذه المدنيات وانتهائها ومن هنا كان من الضرورى أن ننظر دائما الى الامام وأن نعلم أننـا لسنا وحدنا الذين نتطور ولكن العالم كله يتطور وتطورنا مرتبط بتطور العالم ولا يمكن فى العصر الحديث اغفال ما يجرى حولنا ، لا يمكن اغفال الفكر والعلم ولا يمكن اغفال التجربة العلمية ، ولا يمكن الانغلاق على مفاهيم معينة وانما التفاعل مع التجربة ومع الفكر ، ومع التطور نفسه الذى يسير فيه العـالم ، هو الكفيل بأن يحـافظ على تقدمية شعبنـا وتقدمية المجتمع الذى نعيش فيه .

ان التقدم فى حد ذاته هو العدو الأول للرجعية ، ان الرجعية التى استطاعت أن تصل الى مراكزها والى مواقعها فى غيبة من الشعب واستطاعت أن تستغل الشعب لا يمكن باى حال من الاحوال أن تتنازل عن هـذه المواقع ما لم يكن هناك تصميم أكيد من الشعب لممارسة حقوقه وممارسة حرياته والسيطرة على مقدراته .

ومن هنا تستميت الرجعية لكى تمنع الانطلاق ولكى تعرقل المسيرة الثورية ، وهنا يتركز العمل الأساسى على القيادات الثورية التى يجب أن تكون واعية بحركة التطور فى المجتمع نفسه ولا تتخلف عنه ان التخلف عن حركة الجماهير سيقضى على هذه القيادة بل ان القيادة يجب دائما ان ترى أبعد مما ترى الجماهير العادية لتستطيع أن تتنبأ بصورة التطور وصورة المرحلة القـادمة فى حياة المجتمع ، ان البعض قد يعتقد أنه وصل الى نهاية المطاف ولكن الروح الثورية والعقلية الثورية لا تيأس ولا تتراجع بل تستمر فى طريقها تستطيع أن تستكشف حقيقة التطور فى حركة الجماهير . تستطيع أن تستكشف حقيقة التطور فى الفكر ، تستطيع أن تستكشف حقيقة المجتمع ، ومن هنا كان واجب القيـادة دائما بمنطقها الثورى وبعقليتهـا الثورية وأسلوبها الثورى ان ترتفع بالجماهير الى مستوى منطقها حتى تستطيع أن تقود هذه الجماهير .

وفى كفاحنا الثورى يجب أن نعمل دائما على الايمان بالشعب والايمان بجماهير الشعب ، لأن هذا هو الذى يحدد مسئولية القيادة أمام هذه الجماهير ، وما دمنا نؤمن بالشعب ونؤمن بقدرة وفاعلية هذا الشعب ، وما دمنا نعطى الثقة لهذا الشعب . اذن تتحدد مسئولية العناصر القيادية أمام الشعب ومن هنا كانت حركة الجماهير هى أساساعمل ثورى . وتثقيف الجماهير وتوعيتها عمل ثورى وعمل سياسى ، لا يجب أن يتقوقع فى المكاتب والنشرات ولكن العمل فى وسط الجماهير ، هذا العمل هو الذى يعبىء جماهير شعبنا لمواجهة كافة التحديات التى تواجهنا ، التحديات الداخلية والتحديات الخارجية ، التحديات الداخلية فى تحقيق التقدم فى المجتمع ، وفى تحقيق التنمية فى المجتمع وفى ضرب العناصر التى تعوق التقدم .

والتحديات الخارجية فى ضرب القوى الاستعمارية والقوى الرجعية التى تحاول أن تحد من انتصاراتنا وتحاول ان تمنع انطلاقنا وتحاول أن تمنع تأثيرنا على الشعوب العربية والشعوب التى تجاورنا ، ومن هنا كانت الثقة فى الشعب عملية أساسية ، الثقة فى الشعب الذى بنى أول حضارة فى التاريخ على قيم ومبادىء معينة ، هذه القيم والمبادىء هى التي جعلت آثار هذه الحضارة باقية حتي الآن .

هذا الشعب القوى الذى لم يتأثر بأى غزو استعمارى أو بأى تسلط استعمارى وبقى محافظا على كيانه وعلى قيمة ومبادئه وعلى تراثه وأصوله . اذن فهو شعب قوى يجب أن نثق فيه لأنه شعب استطاع أن يفعل المعجزات .

ولكى نثق فى هذا الشعب يجب أن نتعلم منه الكثير ، يجب أن نتعلم من كفاحه ومن خبراته ، يجب أن نتعلم من ممارسته لنشاطه ، أن التعلم من الجماهير هو عملية اساسية فى حياة اى مجتمع ثورى لانه ما دامت الثورة ــ كما ورد فى الميثاق ــ ليست ثورة فرد أو فئة ولكنها

ثورة شعب فيجب أن نثق فى الشعب ونتعلم منه . وهذا هو المبدأ الذى ركز عليه دائما القائد جمال عبد الناصر .

ان ثقته بالشعب وثقته بقدرة الشعب هى التى مكنته من أن يقتحم وأن يواجه كافة التحديات ، وبهذا الايمان بقدرة الشعب استطاع القائد جمال عبد الناصر أن يسير بهذه الثورة ١٤ عاما . وهو يناضل ويعلم أن الشعب وراءه، ومن هنا كان تمسكنا بالميثاق وتمسكنا بالقيم والمبادىء التى جاء بها الميثاق هو أمر ضرورى ، لضمان ثورتنا وضمان كياننا والابقاء على قيمنا .

كذلك يجب أن نكون على ثقة بأنفسنا . وتاريخنا كله كان مبنيا على هذا الأساس ، لم يتأثر بأى قيادات غريبة عنه ، لم تؤثر فيه أى أفكار غريبة عنه ، ولكنه استطاع أن يتفاعل مع كل هذه الأفكار وهو مرتبط بأحواله وجذوره وقيمه واستطاع أن يبقى وان يثرى الحضارة الانسانية وأن يساهم فى بناء هذه الحضارة .

اننا اليوم فى أمس الحاجة الى الوحدة الوطنية ، فى أمس الحاجة الى التماسك والتكاتف لمواجهة كل هذه التحديات والضرب المعوقات التى تقف فى طريقنا ، ولضرب العناصر الانتهازية أو السلبية لأنها تمثل طابورا خامسا فى معركتنا ،فهى التي تشكك وتعمل لذاتها ، وهى التى تعمل لمصلحة فئة صغيرة فى المجتمع ولجماعات صغيرة فى المجتمع ان قيمة عمل كل فرد وقيمة أقوال كل فرد فى هذا المجتمع يجب أن تنعكس على المصالح الشعبية فى المجتمع وهذه هى قيمة أى قيادة فى المجتمع ليستطيع الشعب أن يواصل حركته الثورية ويستطيع أن يواصل مسيرته الثورية لتحقيق المجتمع الذى يسعى اليه مجتمع الكفاية والعدل فى ظل الحرية والاشتراكية والوحدة .



حرية – اشتراكية – وحدة

الاتحاد الاشتراكي العربي
دار ومطابع الشعب